

الكاشيون :

الكاشيون من الأقاليم الهندية الأوربية وإنهم على الأغلب إستوطنوا في منطقة جبال زاكروس والمناطق الواقعة الى شرق دجلة قبل غزوه بلاد وادي الرافدين . والراجح إن إسمهم مشتق من إسم الهيم القومي (كشو) ولدينا من الأدلة مايشير الى ان وجود الكاشيين في العراق منذ زمن ابن حمورابي وخليفته وهو الملك سمسو إيلونا (١٧٤٩-١٧١٢ ق.م) عندما قام هؤلاء بغزو بلاد وادي الرافدين من الحدود العيلامية . وعلى الرغم من إن البابليين إستطاعوا ردهم إلا إن الكاشيين تمكنوا من الإستيلاء على مدينتين مهمتين هما أور والوركاء . وتشير أسماء الأعلام الكاشية التي ترد في النصوص والمعاملات التجارية في العصر البابلي القديم الى إن الكاشيين إستمروا في التدفق السلمي الى بلاد بابل لمدة قرن من الزمن قبل أن يستطبعوا في النهاية من الإستيلاء على مقلد الحكم وتأسيس سلالة خاصة بهم عرفت بسلالة بابل الثالثة . وفي السنة والثامنة والعشرين من حكم الملك سمسو إيلونا حدثت ثورة في جنوب بلاد الرافدين تمخض عنها قيام سلالة مستقلة عرفت بسلالة القطر البحري (Sealand Dynasty) وعرفت أيضاً بسلالة بابل الثانية والتي إستمرت في السيطرة على بلاد سومر لمدة قرنين من الزمن . يمثل

سقوط بابل حدثاً تاريخياً مهماً لأنه كان بداية السيطرة الفعلية للأقاليم الهندية الأوربية التي قدر لها ان تلعب دوراً رئيسياً في تاريخ الشرق الأدنى القديم لفترة تقارب أربعة قرون . ففي سنة ١٥٩٥ ق.م أي السنة الثالثة عشر من حكم الملك البابلي سمسو ديتانا (٢٦٢٥ - ٥٩٥ ق.م) وهو الخليفة الخامس للملك حمورابي ، تحرك الملك الحيثي مرسيلس الأول على رأس جيشه من آسيا الصغرى الى سوريا فاحتل في طريقه مدينة حلب ونهب ماري ومن ثم وصل الى مدينة بابل فنهبها وأحرقها وبذلك قضى على السلالة المعروفة بسلالة بابل الأولى . ولم يمكث الحيثيون في بابل زمناً طويلاً ، إذ إضطر الملك مرسيلس الأول الى الرجوع الى عاصمة حكمه حاتوشاش (بو غاز كوي) على عجل وذلك أثر وصول أنباء مؤامرة ضده في البلاط والتي إنتهت بقتله . يمكن أن يذكر شئ عن الحيثيين لما لذلك من أهمية في تفهم تاريخ الشرق الأدنى القديم وخاصة في الفترة من سقوط بابل حتى القرن الثاني عشر ق.م والحيثيون كما أسلفنا من الأقاليم الهندية الأوربية التي سكنت آسيا الصغرى . وتدل التنقيبات على وجود أقوام سبقوا هؤلاء الحيثيين في إستيطان تلك المنطقة وإن الحيثيين وصلوا الى آسيا الصغرى في حدود الألف الثاني ق.م وقبل وصول الحيثيين كان هذه البلاد مجزأة الى وحدات سياسية تقرب من عشر ممالك كان من أهمها مملكة بورش خندا . إلا إن معلوماتنا عن السكان الصليين لآسيا الصغرى ما زالت ضئيلة جداً لأنهم لم يخلفوا نصوصاً مدونة . ومهما يكن فإن الحيثيين بلغوا أوج عظمتهم السياسية في الفترة الواقعة بين ١٧٠٠ - ١٢٠٠ ق.م ، إذ أستطاع الحيثيون أول الأمر فرض سيطرتهم على سكان البلاد الأصليين في آسيا الصغرى ومن ثم تأسيس مملكة لهم . وكان من أهم ملوكهم الأوائل لبرنا (١٦٨٠ - ١٦٥٠ ق.م) الذي إتخذ له عاصمة تدعى كوسارا والتي ما يزال موقعها مجهولاً لحد الآن . وجاء من بعده ابنه حتو سيلس الأول (١٦٥٠ - ١٦٢٠) الذي نقل مقر حكمه الى العاصمة جديدة عرفت باسم حاتوشاش . وفي زمن هذا الملك توسعت مملكة الحيثيين وأصبحت إمبراطورية شملت منطقة طوروس والسهول الشمالية من سوريا . وتوسعت هذه الإمبراطورية زمن خليفة حاتوشيلس الأول وهو الملك مرسيلس الأول (١٦٢٠ - ١٥٩٠) . من الجدير بالملاحظة ان فترة القرون الخمسة الممتدة من حوالي ١٦٠٠ - ١١٠٠ ق.م تعتبر ذات أهمية كبيرة من حيث التطورات والعلاقات السياسية التي حدثت في منطقة الشرق الأدنى وذلك نتيجة لتعاصر قوى ثلاث رئيسية هي الحيثيون في آسيا

الصغرى ، والكاشيون في العراق ، والمملكة الجديدة في مصر ، . وقد تميزت هذه الفترة بنزاع حاد وخاصة بين الحيثيين والمصريين وذلك من أجل الإستيلاء على سوريا وفلسطين . إن الغزو الحيثي لبلاد بابل وإنسحابهم منها ترك بلاد وادي الرافدين مفتوحة أمام الكاشيين الذين كانوا إستوطنون المناطق الجبلية في زاكروس . وعلى هذا النحو إنتقلت السلطة الى الكاشيين الذين إتخذوا أول الأمر مدينة بابل عاصمة لهم ، وقد سميت سلالتهم بسلالة بابل الثالثة التي إستمرت في الحكم زهاء خمسة قرون (من القرن السادس عشر الى القرن الحادي عشر ق.م) ومن ملوك الكاشيين الأوائل آكوم (Agum) الذي إستطاع ان يمد نفوذه الى أواسط الفرات عند مملكة تعرف بإسم خانا (Hana) . وفي عام ١٤٥٠ ق.م قام أحد ملوك الكاشيين المسمى ال- بورياش (Ulam-Buriash) بحملة عسكرية ضد سلالة القطر البحري التي تأسست في القسم الجنوبي من العراق في زمن الملك البابلي سمسو إيلونا ، فإستطاع إخضاعها ومن ثم ضمها الى بلاد بابل بعد إنفصال دام أكثر من قرنين ولكن لم تلبث وإن نشبت ثورة في منطقة القطر البحري مما إضطر الملك الكاشي آكوم لارابع الى تجريد حملة عسكرية والقضاء عليها . لقد تأثر الكاشيون تأثراً واضحاً بحضارة وادي الرافدين ، فهم لم يخلفوا لنا نصوصاً مدونة بلغتهم ، بل إستعملوا الخط لامسماري واللغة الأكديّة في تدوين شؤون حياتهم المختلفة . وقد حافظ الكاشيون على عبادة الهتهم القومية ، غير إنهم في الوقت نفسه عبدوا الآلهة البابلية أيضاً . والملاحظ في أسماء الآلهة الكاشية إنها ترجع الى أصول هندية - أوربية حيث تنتهي بالمقطع ((اش)) مثل ((برياش)) و ((انداش)) و ((دنياش)) وقد أدخلت أسماء هذه الآلهة في تركيب أسماء كثير من الملوك الكاشيين . وعلى الرغم من إن الكاشيين إقتبسوا بصورة عامة

المقومات الحضارية لبلاد وادي الرافدين فإنهم مع ذلك جاءوا ببعض التجديدات التي تميز عصرهم . ومن ذلك إستعمالهم إسماً جد

يداً لبلاد بابل هو كار - دنياش (بلاد دنياش) وهو أحد الآلهة الكاشية . ولكن مما تجدر ملاحظته إن ملوكهم استعملوا أيضاً القاب الملوك المعروفة في بلاد الرافدين مثل ملك سومر وأكد وملك بابل . وبالإضافة الى ذلك يعتقد معظم الباحثين إن الفضل يعود الى الكاشيين في إدخال الخيزل الى العراق وفي شيوع إستعمالها في الأغراض السلمية والحربية والراجح إن الكاشيين أنفسهم تعلموا فنون تربية الخيول من الحثيين والخوريين . ومن المظار التي تميز بها العصر الكاشي بصورة خاصة أستعمال ما يعرف بأحجار الحدود (في البابلية كودورو) . وكانت هذه الأحجار عبارة عن سجلات بالأراضي المقطوعة من الدولة الى الأوراد حيث تتضمن مساحة وحدود الأرض مالكةا والحقوق الممنوحة له . وكانت هذه الأحجار تودع في المعابد . وهي مخروطية الشكل تنقش على الجزء العلوي من واجهتها برموز للآلهة أشهرها عادة قرص الشمس (الإله شمش) والهخلال (اله القمر ننا) والزهرة (الآلهة عشتار) ، يلي ذلك حقول أخرى تتضمن رموزاً حيوانية ترمز لآلهة عديدة . وربما كان الغرض من رموز الآلهة أن تضيفي على الحجر مسحة خاصة لتذكر ذوي العلاقة بضرورة الإلتزام والتمسك بمضمون النص الذي على الحجر .

وبعد رموز الآلهة يأتي عادة النص الكتابي الذي يتضمن مساحة وحدود الحقل أو الأرض المقطوعة وإسم مالكةا وأسماء الشهود وينتهي عادة بإستئزال اللعنات على كل من يتجاوز على حدود تلك الأرض أو يقطع جزءاً منها . ويمكن القول عن العصر الكاشي بصورة عامة إنه كان فترة شهدت نشاطاً ملحوظاً في حركة التأليف والإستنساخ . فمن هذا العصر وصلتنا نسخة من ملحمة كلكامش الشهيرة كما تم تأليف قصة بابلية مطولة ومنكاملة عن الطوفان يشخص فيها بطل إسمه أتراخاسيس وهو نظير لأوتونابشتم في قصة الطوفان التي وردت في ملحمة كلكامش كما جاءتنا من هذه الفترة حوار مطول بين رجل معذب وصديقه الحكيم وهو يدور حول العدل الإلهي وما يصيب الإنسان في الدنيا من خير أو شر . ومن القطع التي تم تأليفها في العصر الكاشي القصيدة المعروفة ب ((لامجدن رب الحكمة)) والتي يتحدث فيها رجل بابلي عما أصابه في هذه الحياة من بؤس وشقاء ومرض على الرغم من كونه رجلاً تقياً ورعاً وكيف إنه واصل التمسك بالصبر وطاعة الآلهة الى أن جاءت الآلهة لنجدته في نهاية المطاف .